جولة في كتاب

« رؤيـــــة جديـــــدة لشعرنـــا القديـــم »

الحداثة بين شعراء الأمس واليوم .. هل كان أبونواس شاعرا مسرحيا ؟

«رؤية جديدة لشعرنا القديم» للدكتور حسن فتح الباب كتاب صدر حديثا، وفيه ترسو افكار المؤلف عند رؤى معاصرة في تراث شعرائنا الاقدمين.

تبدأ رحلة المؤلف مع الشاعر طرفة بن العبد فيرى فيه شاعر الغضب والتمرد على التقاليد والاعراف فهو شاعر وجودى الانتماء في بحثه عن الخلاص، ولذا فانه يقف موقفا من الحياة فيه نظرة استقلالية وجودية واثقة وهو يواجه الوجود بموقفه الفلسفي والمبين من خلال شعره:

الا ايهذا اللائمي احضر الوغى
وان أشهد اللذات هل أنت مخلدي
فان كنت لاتستطيع دفع منيتى
فدعني أبادرها بما ملكت يدي

اعداد :
محمد غشام
مكتب الاتحاد - بيروت

وكان لطرفة مواقف صارخة ضد الظلم والظالمين ولعل ثورته قد عبرت عن بشاعة انحدار القيم الانسانية في أعتى صورها المتمثلة بظلم وعدوان ذوي القربى والاخوة:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

وتتجلى رحابة الشاعرية وسموها في ذات الشاعر طرفة من خلال اشراق المحبة في شعره؛ محبة البشرية وتتجلى فيه صفات اخرى من التسامي الروحي والأخلاقي كإبائه وازدرائه للمال. ويرى المؤلف ان طرفة له ملامح مشتركة من الملك الضليل ومن زهير بن ابي سلمى ومن عروة بن الورد، اذ تجتمع فيه نوازع القلق والحيرة والتمزق، فالحكمة والبصيرة والاستشراف والأنفة والتفرد والعطف على المضطهدين.

اما في باب الرثاء فقد اختار د. فتح الباب الشاعرين مثمم بن نويرة ومالك بن الريب، والرثاء كما نعرف هو أحد الأبواب الرئيسية في شعرنا العربي القديم. ولأن الرثاء يصدر غالبا ولدى الشعراء الكبار عن وجدان يتلاطم بالوجد والالتياع ويبتعد عن مزالق ووهاد المديح والهجاء والفخر والوصف وسوى ذلك، ومن مراثي شعرنا القديم مابلغ الشأن والعالمية ببلوغه قمما في التعبير الوجداني حتى لتعتبر معالم فلسفية حيال الحياة والموت والكون وخير مثال لذلك شعر المعري وأبي العتاهية والمتنبي ومالك بن الريب. ومثمم بن نويرة في رثاء اخيه مالك جاء بقصيدة من اجمل وأروع المراثي التي انتقلت الينا عبر العصور كما يقول المؤلف::

لقد لامني عند القبور على البكا
رفيقي لتذراف الدموع السوافك
امن اجل قبر بالفلا انت نائح
على كل قبر او على كل هالك

فقلت له: ان الشجا يبعث الشجا
فدعني فهذا كله قبر مالك

وبهذه الأبيات الثلاثة كانت رحلة الشاعر داخل النفس البشرية في اكبر تجربة انسانية.

اما قصيدة مالك بن الريب فيقترب بها المؤلف من ذروة ما بلغته رائعة الشاعر الالماني غوته (آلام ترنر) كما تتضمنه من مضمون هائل الاحساس ورائع الشفافية والحقائق الانسانية واصالة الانتماء الوطني ولو كان الوطن هو الصحراء التي عرفها شاعرنا العبقري القديم وفيها يقول:

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة
بجنب الفضى ازجى القلاص النواجيا
فليت الفضى لم يقطع الركب عرضه
وليت الفضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في اهل الفضى لودنا الفضى
فزار ولكن الفضى ليس دانيا

وظاهرة التكرار هذه لكلمة الفضى مما يؤكد عمق وأصالة الصدق في الاحساس لدى الشاعر. ويرى المؤلف ان هذا الاسلوب العبقري في الترديد انما يشابه اسلوب اليوت في شعره وكذلك «ازراباوند» ولذا كان شاعرنا القديم رائدا حيا للحداثة قبل قرون من الزمن.

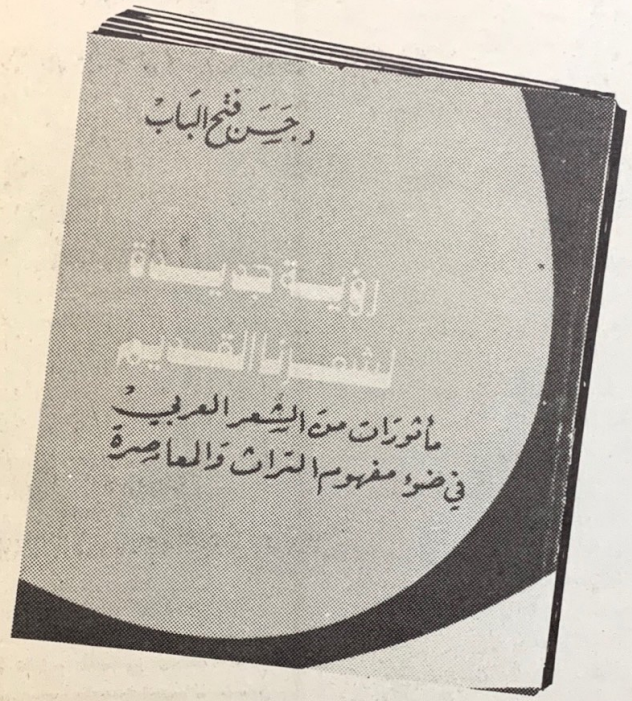

وعندما يلتفت المؤلف الى ابي نواس يرى انه عرف الشعر المسرحي بقصيدة من قصائده.. المشهد الاول وقد هبت صاحبة الحان لتستطلع الأمر بعد ان غزاها ابونواس وصحبه المجان وحيث يدور الحوار فتذعن.. وفي الجزء الباقي وصف لمشهد الحانة والشرب فيها والديكور ثم تتوالى المشاهد الحية من بدء الشراب ثم المشاركة في الغناء وتطارح الشعر الى وصف القيان والجواري.. وهذه القصيدة مطلعها:

وفتية كمصابيح الدجى غرر
شم الأنوف من الصيد المصاليت
صالوا على الدهر باللهو الذى وصلوا
فليس حبلهم منه بجثوث

وفي باب الغزل يأتي المؤلف على تناول الفن الشاعري لدى كل من قيس بن الملوح، ويورد صورة القلب الذي يرفرف كالطير لدى سماعه باسم الحبيب.. وقد تأثر شوقي بأبيات لقيس تتضمن مثل هذا المعنى ونسج روايته المعاصرة على غرارها في بيته:

مناد دعا ليلى فخف له
نشوان في جنبات القلب عربيد

ثم ابراهيم ناجي في قصيدته الأطلال:

رفرف القلب بجنبي كالذبيح
وانا اهتف يا قلب اتئد

وهاتان الرؤيتان المعاصرتان انعكاس لشعر قيس:

وداع دعا اذ نحن بالحيف من منى
فهيج أشواق الفؤاد ومايدري
دعا باسم ليلى غيرها فكانما
اثار بليلي طائرا كان في صدري

ومرورا بالمتنبي وابن الرومي والشريف الرضي يستوقفنا توقفه عند ابي الحسن الانباري وقد دعاه شاعر الحرية والمقاومة. وبعد ان استعرض على مرآة ذاكرته ورؤاه بعض قصائد كبار شعراء المقاومة العالميين امثال ناظم حكمت ونيرودا ولوركا رجع بخاطره الى الانباري ذلك الشاعر الثائر الذي تمثلت في ابياته ثورة الحق على الطغيان والتي تمرد فيها فيض المقاومة الحي. تقول القصيدة:

علو في الحياة وفي الممات
لحق انت احدى المعجزات
كان الناس حولك حين قاموا
وفود نداك ايام الصلات
ولما ضاق بطن الارض عن ان
يضم علاك من بعد الوفاة
احاروا الجو قبرك واستعاضوا
عن الأكفان ثوب الباقيات

وكما يقول المؤلف تنبع روعة هذه القصيدة من رؤيتها الفنية.. فهي رؤية عصرية في ابرز سماتها وخصائصها.. فالرصيد الشعري الحديث المعاصر من قصائد الرثاء التي كتبها الشعراء الثوريون تخلع على المرثي من شهداء الثورة وضحايا السلطات المستبدة صورة الانسان العظيم الذي يقتل دفاعا عن وطنه او عقيدته، وهنا يكمن نبل وعظمة الشعر الذي يردد رجع القيم الانسانية المثلى التي تنتشل الانسان من عبوديته وخنوعه ولا مسئوليته..